لغة القرآن الكريم
في
سورة النور
دراسة في التركيب النحوي

دكتور
صبري إبراهيم السيد
جامعة عين شمس

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبيه الأمين

ورضى الله عمن سار على نهجه

واتبع سنته إلى يوم الدين

وبعد ،،

فسورة النور سورة مدنية وآياتها أربع وستون، نزلت بعد سورة الحَشْر. ومن المقرر أن السور المدنية فى أسلوبها شئ من الإسهاب، ولاسيما فى مخاطبة أهل الكتاب لأنهم أقل بلاغةً وفهماً من العرب الأصلاء، ولاسيما قريش، وما فيها من الكلام فى أصول الدين أكثره محاجة لهم – لأهل الكتاب – ونعى عليهم وإثبات لتحريفهم مانزل إليهم، وابتداعهم فيه وإعراضهم عن هدايته، ونسيانهم حظاً مما ذُكّروا به، ودعوة لهم إلى التوحيد الخالص توحيد الألوهية والربوبية، وبيان لكون الإسلام الذى جاء به القرآن، هو دين جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وفى السور المدنية أيضا بيان لما لابد منه من الأحكام العملية فى العبادات والمعاملات، الشخصية والمدنية والسياسية والحربية، ولأصول الحكومة الإسلامية والتشريع فيها[1].

وسورة النور يُذكر فيها النورُ بلفظه متصلا بذات الله، ويذكر فيها النور بآثاره ومظاهره فى القلوب والأرواح، ممثلةً هذه الآثار فى الآداب والأخلاق التى يقوم عليها بناء هذه السورة. وهى آداب وأخلاق نفسية وعائلية وجماعية يربطها بذلك النور الكونى الشامل أنها نور فى الأرواح، وإشراق فى القلوب، وشفافية فى الضمائر، مستمدة كلها من ذلك النور الكبير.

---

(١) الإمام محمد عبده: تفسير القرآن الحكيم، ١/ ٣٣.

قال القرطبى (ت ٦٧١ هـ) : «ومقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر، وقد كتب عمر رضى الله عنه إلى أهل الكوفة: علموا نساءكم سورة النور»[١] .

والمحور الذى تدور عليه السورة كلها هو محور التربية. التربية التى تشتدُّ فى وسائلها إلى درجة الحدود، وترقُّ إلى درجة اللمسات الوجدانية الرفيقة، التى تصل القلب بنور الله وآياته المبثوثة فى تضاعيف الكون وثنايا الحياة.

وتتداخل الآداب النفسية الفردية، وآداب البيت والأسرة، وآداب الجماعة والقيادة بوصفها نابعة كلها من معين واحد هو العقيدة فى الله، متصلة كلها بنور واحد هو نور الله.

ويجرى سياق السورة حول محورها الأصيل فى خمسة أشواط[٢] :

الشوط الأول:

يتضمن الإعلان الحاسم الذى تبدأ به عن تقرير هذه السورة وفرضها. ويدل هذا البدء الفريد على مدى اهتمام القرآن بالعنصر الأخلاقى فى الحياة. ويتبع هذا المطلع ببيان حد الزنا، وتفظيع هذه الفعلة، التى تقطع ما بين فاعليها وبين الجماعة المسلمة من وشائج وارتباطات.

والإسلام وهو يضع هذه العقوبات الصارمة الحاسمة لتلك الفعلة المستنكرة الشائنة لم يكن ليغفل الدوافع الفطرية أو يحاربها. فالإسلام يقدر أنه لاحيلة للبشر فى دفع هذه الميول، ولا خير لهم فى كبتها أو قتلها. ولم يكن ليحاول أن يوقف الوظائف الطبيعية التى ركبها الله فى كيانهم، وجعلها جزءا

---

(١) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن، ١٢/ ١٥٨.

(٢) سيد قطب: فى ظلال القرآن، ٦ / ٥٣ – ١٢٨ باختصار وتصرف.

من ناموس الحياة الأكبر، يؤدى إلى غايته من امتداد الحياة، وعمارة الأرض، التى استخلف فيها هذا الإنسان.

إنما أراد الإسلام أن يحارب الحيوانية وأن يقيم العلاقات الجنسية على أساس من المشاعر الإنسانية الراقية، التى تؤدى إلى الذرية المرتقبة. ثم يمضى فى الطريق خطوة أخرى فى استبعاد ظل الجريمة من جو الجماعة، فيعاقب على قذف المحصنات واتهامهن دون دليل أكيد، ذلك أن ترك الألسنة تلقى التهم على المحصنات – وهن العفيفات الحرائر ثيّباتٍ أو أبكاراً – دون دليل قاطع، يترك المجال فسيحا لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئاً بتلك التهمة النكراء، ثم يمضى آمنا! فتصبح الجماعة وتمسى، وإذا أعراضها مجرحة وسمعتها ملوثة، وإذا كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام، وإذا كل زوج فيها شاكّ فى زوجه، وكل رجل فيها شاكّ فى أصله، وكل بيت فيها مهدد بالانهيار وهى حالة من الشك والقلق والريبة لاتطاق.

ذلك أن اطراد سماع التهم يوحى إلى النفوس المتحرجة من ارتكاب الفعلة أن جو الجماعة كله ملوث، وأن الفعلة فيها شائعة، فيقدم عليها مَنْ كان يتحرّج منها، وتهون فى حسه بشاعتها بكثرة ترادها، وشعوره بأن كثيرين غيره يأتونها!

ومن ثم لاتجدى عقوبة الزنا فى منع وقوعه، والجماعة تمسى وتصبح وهى تتنفس فى ذلك الجو الملوث الموحى بارتكاب الفحشاء.

لهذا، وصيانةً للأعراض من التهجم، وحماية لأصحابها من الآلام الفظيعة التى تصبُّ عليهم، شدد القرآن الكريم فى عقوبة القذف، مع إسقاط الشهادة والوصم بالفسق. ويكفى أن يهدر قول القاذف فلا يؤخذ له بشهادة، وأن يسقط اعتباره بين الناس ويمشى بينهم متهما لايوثق له بكلام! ذلك

حكم القذف العام. ولكن استثنى منه أن يقذف الرجل امرأته. فإن مطالبته بأن يأتى بأربعة شهداء فيه إرهاق له وإعنات.

وبعد الانتهاء من بيان حكم القذف يورد نموذجا من القذف يكشف عن شناعة الجرم وبشاعته، وهو يتناول بيت النبوة الطاهر الكريم، وعِرْضَ رسول الله ﴿ﷺ﴾ أكرم إنسان على الله، وعرض صديقه الصِّدِّيق أبى بكر – رضى الله عنه – أكرم إنسان على رسول الله ﴿ﷺ﴾ وعرض رجلٍ من الصحابة – صفوان ابن المعطل رضى الله عنه – يشهد رسول الله أنه لم يعرف عليه إلا خيرا، وهو يشغل المسلمين فى المدينة شهرا من الزمان.

ذلك هو حديث الإفك الذى تطاول إلى ذلك المرتقى السامى الرفيع، ويبين الله سبحانه المنهج الذى يفرضه لمواجهة هذه الأمور فى خطوتين: خطوة الدليل الباطنى الوجدانى، وطلب الدليل الخارجى والبرهان الواقعى. هاتان الخطوتان غفل عنها المؤمنون فى حادث الإفك، وتركوا الخائضين يخوضون فى عرض رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو أمر عظيم لولا لطف الله لمسّ الجماعةَ كلها البلاءُ العظيم. فالله يحذرهم أن يعودوا لمثله أبدا بعد هذا الدرس الأليم.

قال الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ): «ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ فى شئ تغليظه فى إفك عائشة رضوان الله عليها وما أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ماركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد منها كاف فى بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين فى الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب

الذى هم أهله حتى يعلموا عند ذلك (أن الله هو الحق المبين) فأوجز فى ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وجاء بما لم يقع فى وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه فى الفظاعة»[١].

ويختتم الحديث عن حادث الإفك ببيان عدل الله فى اختياره الذى ركبه فى الفطرة، وحققه فى واقع الناس. وهو أن تلتئم النفس الخبيثة بالنفس الخبيثة، وأن تمتزج النفس الطيبة بالنفس الطيبة.

الشوط الثانى:

ويتناول وسائل الوقاية وتجنيب النفوس أسباب الإغراء والغواية. فالإسلام لايعتمد على العقوبة فى إنشاء مجتمعه النظيف، إنما يعتمد قبل كل شئ على الوقاية. وهو لايحارب الدوافع الفطرية، ولكن ينظمها ويضمن لها الجو النظيف الخالى من المثيرات المصطنعة.

ومن هنا يجعل للبيوت حرمة لايجوز المساس بها؛ فلا يفاجأ الناس فى بيوتهم بدخول الغرباء عليهم إلا بعد استئذانهم وسماحهم بالدخول. ذلك مع غض البصر من الرجال والنساء، وعدم التبرج بالزينة لإثارة الشهوات.

فالإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تهاج فيه الشهوات فى كل لحظة، فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهى إلى سعار شهوانى لاينطفئ ولايرتوى، والنظرة الخائنة والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسم العارى. كلها لاتصنع شيئا إلا أن تهيج ذلك السعار.

وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هى الحيلولة دون هذه الاستثارة، وإبقاء الدافع الفطرى العميق بين الجنسين سليما، وبقوته الطبيعية،

---

(١) الزمخشرى: الكشاف، ٣/ ٥٦ - ٥٧.

دون استثارة مصطنعة، وتصريفه فى موضعه المأمون النظيف.

والزينة حلال للمرأة تلبية لفطرتها. فكل أنثى مولعة بأن تكون جميلة، وأن تبدو جميلة. والزينة تختلف من عصر إلى عصر، ولكن أساسها فى الفطرة واحد، هو الرغبة فى تحصيل الجمال أو استكماله، وتجليته للرجال.

والإسلام لايقاوم هذه الرغبة الفطرية ولكنه ينظمها ويضبطها، ويجعلها تتبلور فى الاتجاه بها إلى رجل واحد – هو شريك الحياة – يطّلع منها على ما لايطلع أحد سواه. ويشترك معه فى الاطلاع على بعضها المحارم والمذكورون فى الآية، ممن لايثير شهواتهم ذلك الاطلاع.

ولما كان ذلك الميل حقيقة واقعة، لابد من مواجهتها بحلول واقعية كانت هذه الحلول تيسير الزواج والمعاونة عليه. وفى انتظار قيام الجماعة بتزويج الأيامى بأمرهم بالاستعفاف حتى يغنيهم الله بالزواج، وينهاهم عن إكراه الفتيات على البغاء.

الشوط الثالث:

ويتوسط مجموعة الآداب التى تتضمنها السورة. فبهذا التعليم وهذا التهذيب عالج الكيان البشرى، حتى أشرق بالنور، وتطلّع إلى الأفق الوضىء، واستشرف النور الكبير فى آفاق السماوات والأرض، وهو على استعداد لتلقى الفيض الشامل الغامر فى عالم كله إشراق، وكله نور.

ولكن الكيان البشرى لايقوى طويلا على تلقى ذلك الفيض الغامر دائما، ولايستشرف طويلا ذلك الأفق البعيد. فبعد أن جلا النصّ هذا الأفق المترامى، عاد يقارب مداه، ويقربه إلى الإدراك البشرى المحدود، فى مثلٍ قريب محسوس.

ذلك النور الطليق، الشائع فى السماوات والأرض يتجلى ويتبلور فى بيوت الله التى تتصل فيها القلوب بالله، وتؤثره على كل مغريات الحياة.

وفى مقابل ذلك النور المتجلى فى السماوات والأرض، يعرض السياق مجالا آخر، مجالا مظلما لانور فيه. ذلك هو مجال الكفر.

والتعبير يرسم لحال الكافرين ومآلهم مشهدين. فى المشهد الأول يرسم أعمالهم كسراب فى أرض مكشوفة، يلتمع التماعا كاذبا، فيتبعه صاحبه الظامئ، وهو يتوقع الرى غافلا عما ينتظره هناك. ويصل فلا يجد ماء يرويه، إنما يجد المفاجأة التى لم تخطر له ببال. لقد وجد الله هنالك ينتظره «فوفاه حسابه».

وفى المشهد الثانى تطبق الظلمة بعد الالتماع الكاذب، ويتمثل الهول فى ظلمات البحر اللجى. موج من فوقه موج. من فوقه سحاب. وتتراكم الظلمات بعضها فوق بعض، حتى ليخرج يده أمام بصره فلا يراها لشدة الرعب والظلام!

إنه الكفر. ظلمة منقطعة عن نور الله وضلال لايرى فيه القلب أقرب علامات الهدى. ومخافة لا أمن فيها ولاقرار. ويتبع هذا مشهد الإيمان والهدى والنور فى الكون الفسيح. مشهد يتمثل فيه الوجود كله، شاخصا يسبح الله، ومشهد آخر من مشاهد هذا الكون التى يمر عليها الناس غافلين.

إن يد الله تزجى السحاب وتدفعه من مكان إلى مكان. ثم تؤلف بينه وتجمعه، فإذا هو ركام بعضه فوق بعض. فإذا ثقل خرج منه الماء، وهو فى هيئة الجبال الضخمة الكثيفة، فيها قطع البرد الثلجية الصغيرة.

ثم مشهد كونى ثالث: مشهد الليل والنهار. والقرآن يوجه القلب إلى هذه

المشاهد التى ذهبت الألفة بوقعها المثير، ثم يعرض لنشأة الحياة من أصل واحد، وطبيعة واحدة، ثم تنوعها.

الشوط الرابع:

وفيه يتحدث عن المنافقين، الذين لاينتفعون بآيات الله، ولايتأدبون بأدب المؤمنين فى طاعة رسول الله ﷺ وفى الرضى بحكمه، ويوازن بينهم وبين المؤمنين الصادقين فى إيمانهم. أولئك الذين وعدهم الله الاستخلاف فى الأرض، والتمكين فى الدين.

الشوط الخامس:

ويعود فيه إلى آداب الاستئذان فى داخل البيوت، إلى جانب الاستئذان من مجلس رسول الله ﷺ وينظم علاقة الزيارة والطعام بين الأقارب والأصدقاء، إلى جانب الأدب الواجب فى خطاب الرسول ودعائه.

وتختتم السورة بإشعار القلوب المؤمنة والمنحرفة بأن الله مطّلع عليها، رقيب على عملها. وهذا هو الضمان الأخير، وهذا هو الحارس لتلك الأوامر والنواهى، وهذه الأخلاق والآداب.

* * * *

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على لغة القرآن فى هذه السورة عن طريق تحليل التركيب النحوى لآياتها. ومن المقرر أن النحو لايقتصر على البحث فى الإعراب ونظامه[١]، بل يزداد اتساعا للبحث فى الجملة من حيث كيفية تأليف كلماتها، وموقف كل كلمة فيها من الأخرى، من حيث الموقع، وعلاقة كل منها بالأخرى من حيث الوظيفة[٢]. ولعل أذكى عرضٍ

(١) د. محمد عيد: أصول النحو، ص ٢٦٦.
(٢) د. سعد مصلوح: الأسلوب، ص ٣١.

للمعانى النحوية ما جاء على لسان عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) حيث يقول: «وذلك أنّا لانعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر فى وجوه كل باب وفروقه، فينظر فى (الخبر) إلى الوجوه التى تراها فى قولك (زيدٌ منطلقٌ) و (زيدٌ ينطلقُ) و (ينطلقُ زيدٌ) و (منطلقٌ زيدٌ) و (زيدٌ المنطلقُ) و (المنطلقُ زيدٌ) و (زيدٌ هو المنطلقُ) و (زيدٌ هو منطلقٌ). وفى (الشرط والجزاء) إلى الوجوه التى تراها فى قولك: (إنْ تخرجْ أخرجْ) و (إن خرجْتَ خرجْتُ) و (إن تخرجْ فأنا خارجٌ) و (أنا خارجٌ إنْ خرجْتَ) و (أنا إنْ خرجْتَ خارجٌ). وفى (الحال) إلى الوجوه التى تراها فى قولك: (جاءنى زيدٌ مسرعًا) و (جاءنى يسرعُ) و (جاءنى وهو مسرعٌ أو وهو يسرع) و (جاءنى قد أسرع) و (جاءنى وقد أسرع). فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجئ به حيث ينبغى له. وينظر فى (الحروف) التى تشترك فى معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية فى ذلك المعنى، فيضع كلا من ذلك فى خاص معناه، نحو أن يجئ بـ (ما) فى نفى الحال بـ (لا) إذا أراد نفى الاستقبال، وبـ (إن) فيما يترجح بين أن يكون وأن لايكون، وبـ (إذا) فيما علم أنه كائن. وينظر فى (الجمل) التى تسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع (الواو) من موضع (الفاء)، وموضع (الفاء) من موضع (ثم)، وموضع (أو) من موضع (أم)، وموضع (لكن) من موضع (بل). ويتصرف فى التعريف، والتنكير، والتقديم، والتأخير، فى الكلام كله، وفى الحذف، والتكرار، والإضمار، والإظهار، فيصيب بكل من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغى له[1].

وقد قام التحليل النحوى فى هذه الدراسة على بحث الجملة بأنواعها: خبرية كانت أو إنشائية (إفصاحية أو طلبية أو شرطية)، ثم دراسة مكملات

(١) الجرجانى: دلائل الإعجاز، ص ٨١، ٨٢.

الإسناد كالحال والتمييز ... إلخ، والتبعية كالنعت والبدل ... إلخ، والإضافة بنوعيها: المحضة وغير المحضة. وقد عرضت الدراسة خلال هذا لقضايا مثل النفى والتوكيد. واقترنت مباحثها بعدد وفير من الإحصاءات والجداول الخاصة والعامة.

وقد ذيلت هذه الدراسة بإعراب كامل للسورة كلها، أرجو أن يفيد منه القارئ. وقد استفادت هذه الدراسة من جهود كبار المفسرين والنحويين من أمثال الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، والأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ)، والزجاج (٣١١ هـ)، والنحاس (ت ٣٣٨ هـ)، ومكى (ت ٤٣٧ هـ)، والطوسى (ت ٤٦٠ هـ)، والزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ)، وابن عطية (ت ٥٤١ هـ)، وابن الأنبارى (ت٥٧٧ هـ)، وابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ)، والعكبرى (ت ٦١٦ هـ)، والقرطبى (٦٧١ هـ)، والخازن (٧٢٥ هـ)، وأبى حيان الأندلسى (ت ٧٤٥ هـ).

هذا إلى جانب جهود كثير من النحويين - القدماء والمحدثين - ممن وردت أسماؤهم فى هذه الدراسة.

وعلى الله قصد السبيل

المؤلف

(١٣)

(التركيب النحوى لسورة النور)

ويشمل المباحث الآتية:

- الجملة الخبرية
- الجملة الإنشائية
- مكملات الإسناد
- الجمل التى لامحل لها من الإعراب

(١٤)

(الجملة الخبرية)

وتتضمن المباحث الآتية:

- الجملة الخبرية المثبتة
- الجملة الخبرية المنفية
- الجملة الخبرية المؤكدة
- مواقع الجملة الخبرية

(١٥)

الجملة الخبرية المثبتة

وتشتمل على مايلى:

(أولاً) : الجملة الاسمية المثبتة

(ثانياً) : الجملة الفعلية المثبتة

أولاً: الجملة الاسمية المثبتة

الجملة هى أكبر وحدة قابلة للتحليل فى المادة اللغوية[١]. أو هى الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد فى أية لغة من اللغات، وهى المركب الذى يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها فى ذهنه، ثم هى الوسيلة التى تنقل ما جال فى ذهن المتكلم إلى ذهن السامع[٢].

وتنقسم الجملة إلى خبرية (إثبات، نفى، تأكيد) وإنشائية (طلبية، شرطية، إفصاحية)[٣].

أما الجملة الخبرية فهى التى تخبرك بشئ. وتنقسم إلى جملة اسمية وجملة فعلية.

أ- الجملة الاسمية البسيطة

(المبتدأ + الخبر)

الجملة البسيطة هى أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، سواء تركّب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر[٤]. قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ) : والاسم أول أحواله الابتداء[٥]، فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه كلام. والمبتدأ والمبنى عليه رفع. فالابتداء لايكون إلا بمبنى عليه[٦]. والمبتدأ لم يكن مبتدأ لأنه منطوق به أولا، ولا كان الخبر خبرا لأنه مذكور بعد المبتدإ،

---

(١) الأسلوب، ص ٣.

(٢) د. مهدى المخزومى: فى النحو العربى، ص ٣١.

(٣) د. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٤٤.

(٤) د. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة.

(٥) سيبويه، الكتاب، ١/ ٢٣.

(٦) نفسه، ٢ / ١٢٦.

بل كان المبتدأ مبتدأ لأنه مسند إليه ومثبت له المعنى، والخبر خبرا لأنه مسند ومثبت به المعنى[١].

١- الابتداء بالمعرفة:

أصل الابتداء للمعرفة[٢]. وإذا اجتمع نكرة ومعرفة (فأحسنه) أن يبتدئ بالأعرف، وهو أصل الكلام[٣]. وقد بدئت الجمل بالمعرفة فى السورة الكريمة، وجاءت أنماطها على الوجه التالى:

النمط الأول: [المبتدأ معرفة + الخبر معرفة]

قال السيوطى (ت ٩١١ هـ):

«إذا اجتمع معرفتان ففى المبتدإ أقوال:

أحدها: وعليه الفارسى، وعليه ظاهر قول سيبويه: أنك بالخيار، فما شئت منهما فاجعله مبتدأ. والثانى: أن الأعم هو الخبر نحو: زيدٌ صديقى، إذا كان له أصدقاء غيره. والثالث: أنه بحسب المخاطب. فإن علم منه أنه فى علمه أحد الأمرين، أو يسأله عن أحدهما بقوله: مَنِ القائمُ؟ فقيل فى جوابه: القائمُ زيدٌ، فالمجهول الخبر. والرابع: أن المعلوم عند المخاطب هو المبتدأ، والمجهول الخبر. والخامس: إن اختلفت رتبتهما فى التعريف، فأعرفهما المبتدأ، وإلاّ فالسابق. والسادس: أن الاسم متعيّن للابتداء، والوصف متعيّن للخبر نحو القائمُ زيدٌ[٤]». وقال ابن السراج (ت ٣١٦ هـ): «يكون المبتدأ معرفة والخبر معرفة نحو: زيدٌ أخوكَ، وأنت تريد أنه أخوه من النسب، وهذا ونحوه إنما يجوز إذا

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٨٩.

(٢) الكتاب، ١ / ٣٢٩.

(٣) نفسه، ١/ ٣٢٨

(٤) السيوطى: همع الهوامع، ٢ / ٢٨.

كان المخاطب يعرف زيدا على انفراده، ولايعلم أنه أخوه لفرقة كانت بينهما أو لسبب آخر ويعلم أن له أخا ولا يدرى أنه زيد هذا فتقول له أنت: زَيْدٌ أَخُوكَ، أى زيد هذا الذى عرفته هو أخوك الذى كنت علمته، فتكون الفائدة فى اجتماعهما، وذلك هو الذى استفاده المخاطب، فمتى كان الخبر عن المعرفة معرفة فإنما الفائدة فى مجموعهما»[1].

وقد ورد هذا النمط فى ثلاث صور يرجع سبب اختلافها إلى نوع المعرفة. وإليك هذه الصور:

(الصورة الأولى): المبتدأ علم + الخبر مضاف إلى معرفة

قال تعالى: «اللَّهُ نُورُ السَّمـــواتِ وَالأَرْضِ»[2] آية ٣٥

«وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ» آية ٣٩

قال الجرجانى «من فروق الخبر الفرقُ بين الإثبات إذا كان بالاسم، وبينه إذا كان بالفعل. وبيانه أن موضع الاسم على أن يثبت به المعنى للشئ من غير أن يقتضى تجدُّده شيئا بعد شئ. وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضى تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شئ».

وقال: «ومتى اعتبرت الحال فى الصفات المشبهة وجدت الفرق ظاهرا بيّنا، ولم يعترضك الشك فى أن أحدهما لايصلح فى موضع صاحبه. فإذا قلت: (زَيْدٌ طَوِيلٌ) و (عَمْرٌو قَصِيرٌ): لم يصلح مكانه (يَطُولُ) و (يَقْصُرُ)، وإنما تقول: (يطول) (ويقصر)، إذا كان الحديث عن شئ يزيد وينمو كالشجر والنبات والصبى ونحو ذلك مما يتجدد فيه الطول أو يحدث فيه القصر.

---

(١) ابن السراج: الأصول، ١/ ٧٢.

(٢) النحاس: إعراب القرآن، ٣/ ١٣٦

فأما وأنت تحدِّثُ عن هيئة ثابتة، وعن شيء قد استقر طوله، ولم يكن ثَمَّ تزايدٌ وتجدد، فلايصلح فيه إلا الاسم.[١]»

(الصورة الثانية) : المبتدأ اسم إشارة + الخبر معرف بال

قال تعالى: «أُولئِكَ[٢] هُمُ الْفَاسِقُونَ» آية ٤

: «فَأُولئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ» آية ١٣

: «بَلْ أُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» آية ٥٠

: «وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» آية ٥١

: فَأُولئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» آية ٥٢

: «فَأُولئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» آية ٥٥

ويبين الجرجاني وجه الفرق بين الخبر حين يكون نكرة وحين يكون معرفة فيقول: «اعلم أنك إذا قلت: زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ» كان كلامك مع من لم يعلم أن انطلاقا كان، لا من زيد ولا من عمرو، فأنت تفيده ذلك ابتداء. وإذا قلت: (زَيْدٌ الْمُنْطَلِقُ) كان كلامك مع من عرف أن انطلاقا كان، إما من زيد وإما من عمرو، فأنت تعلمه أنه كان من زيد دون غيره .. وتمام التحقيق أن هذا كلام يكون معك إذا كنت قد بُلِّغت أنه كان من إنسان انطلاق من موضع كذا في وقت كذا لغرض كذا، فجوَّزت أن يكون ذلك كان من زيد،

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٧٤ – ١٧٥.

(٢) هنا فصل بين المبتدإ وخبره ضمير. وهو يأتي للتوكيد، ولايكون له محل من الإعراب ويفرق بين الخبر والصفة.

قال سيبويه: «واعلم أن ما كان فصلا لايغير ما بعده عن حاله التي كان عليها قبل أن يذكر. فصار هو وأخواتها هنا بمنزلة ما إذا كانت لغوا في أنها لايتغير ما بعدها عن حاله قبل أن تذكر» (الكتاب، ٢/ ٣٩٠، ٣٩١).

فإذا قيل لك: (زَيْدٌ الْمُنْطَلِقُ)، صار الذى كان معلوما على جهة الجواز، معلوما على جهة الوجوب. ثم إنهم إذا أرادوا تأكيد هذا الوجوب أدخلوا الضمير المسمى (فَصْلاً) بين الجزئين فقالوا: (زَيْدٌ هُوَ الْمُنْطَلِقُ)»[1].

(الصورة الثالثة): المبتدأ اسم إشارة + الخبر اسم موصول

قال تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ .... » آية ٦٢

وقد جعل الجرجانى هذا على معنى الوهم والتقدير، وأن يصور فى خاطره شيئا لم يره ولم يعلمه، ثم يجريه مجرى ماعهد وعلم. قال: «وليس شئ أغلب على هذا الضرب الموهوم من (الذى)، فإنه يجئ كثيرا على أنك تقدر شيئا فى وهمك، ثم تعبر عنه (بالذى) ... فهذا ونحوه على أنك قدرت إنسانا هذه صفته وهذا شأنه، وأحلت السامع على من يعنّ فى الوهم، دون أن يكون قد عرف رجلا بهذه الصفة.[2]»

(الصورة الرابعة): المبتدأ مضاف إلى معرفة + الخبر معرف بالـ

قال تعالى: «وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ» آية ٥٧

(الصورة الخامسة: المبتدأ مضاف إلى معرفة + الخبر مضاف إلى نكرة[3]

قال تعالى: «فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ»[4] آية ٦

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٧٧ - ١٧٨. (٢) نفسه، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٣) جاء فى الهمع ٤/ ٢٦٨: «والمحضة هى التى تفيد تعريفا إذا كان المضاف إليه معرفة، أو تخصيصا إذا كان نكرة. قال أبو حيان: هكذا قالوا، وليس بصحيح؛ لأنه من جعل القسم قسيما، وذلك أن التعريف تخصيص، فهو قسم منه. والصواب أنها تفيد التخصيص فقط، وأقوى مراتبه التعريف». وذكر ابن السراج أن الأصل فى المبتدإ أن يكون معرفة، وفى الخبر أن يكون نكرة. (الأصول، ٦٣).

(٤) قال ابن الأنبارى (ت ٥٧٧ هـ): «فشهادة، مرفوع من وجهين. أحدهما: أن يكون مرفوعا

=/=